

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[322] ملاحظات: هنا لابدّ من الالتفات إلى عدّة نقاط: 1 - لعل ذكر "التضرع" وهو الدعاء علانية، و"الخفية" هي الدعاء في السرّ، إشارة إلى أنّ المصائب تختلف، فالتى لم تصل مرحلة شديدة قد تستدعي الدعاء خفية، وعندما تكون شديدة تحمل المرء على أن يرفع يديه بالدعاء جهراً، وقد يصاحب ذلك البكاء والصراخ، أي أنّ الإنسان يحل مشاكلكم خفيفها وشديدها. 2 - يرى بعضهم أنّ الآية تشير إلى أربع حالات نفسية في الإنسان، كل واحدة منها ردة فعل معينة لظهور المشاكل: حالة "الدعاء" وحالة "التضرع" وحالة "الإخلاص" وحالة "تقديم الشكر عند النجاة من الأخطار". ولكنّ الذي يؤسف له أن هذه الحالات تمر ببعض الناس مروراً خاطفاً وكأنّه الحالات إضرارية في مواجهة الأخطار والمشاكل، وبما أنّها ليست مصحوبة بالوعي والإدراك، فإنّه تخفت وتنطفئ بمجرد انتهاء الأزمة. وبناء على ذلك، فإن هذه الحالات، وإن تكن خاطفة، تستطيع أن تكون دليلاً على معرفة الإنسان لمن عسر عليه إدراك الدلائل الأخرى. 3 - "الكرب" في الأصل بمعنى حفر الأرض وقلبها، وكذلك تعني العقدة المحكمة الشد في حبل الدلو، ثمّ أطلقت بعد ذلك على الغم والهم والحزن التي تقلب قلب الإنسان وتثقل عليه كالعقدة. لذلك فإنّ ذكر "الكرب" بما له من المعنى الواسع الذي يشمل أنواع المشاكل والأزمات بعد ذكر (ظلمات البرّ والبحر) والتي تشمل جانباً من المشاكل فقط، يعتبر من قبيل ذكر مفهوم عام بعد بيان مفهوم خاص (تأمل بدقة). وهذا يجدر بنا أن نذكر حديثاً تورده بعض التفاسير في هذه الآية: روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "خير الدعاء الخفي وخير الرزق ما يكفي" (لا الثروات الضخمة التي هي حصيلة حرمان الآخرين، وتكون عبئاً على كاهل